

عَذْرَائِيلُ

مُسَاعَدَةُ تَوْفِيهِ الْحَكِيمِ

—*—



« عذرائيل يصرف
عن دار التي يدوفاه
غيري إبليس مقبلاً فرحاً
مبتهجاً... »

إبليس — هل
قبضت روحه ؟

عذرائيل —
وما شأنك وهذا ،
أخزأك الله ؟

إبليس — نعم ،
نعم ، لقد مات .
أليس هذا صوت
ابنته فاطمة تبكي
وتصيح : « أبتاه ،

أبتاه . أجاب رباً دناه ، يا أبتاه ! جنة الفردوس مأواه ! يا أبتاه إلى
جيريل تنماه ! »

عذرائيل — وما يمتيك من هذا الأمر ؟

إبليس — أوليس هذا أيضاً صوت عائشة في بكاء وشهيق :
« وا حر قلباه ! وامصيتهاه ! الآن قد اقطع عنا خبر السماء ! »

عذرائيل — أغرب عن هذا المكان !

إبليس — ثم ما هو ذا صوت نسائه كلهن يكين :
« واتكلاه ! واتكلاه ! »

عذرائيل — أغرب عن هذا المكان !

إبليس — ما أجل هذا النهار ... إن نفسي لتكاد تنفجر
شراً وغناء . اصنع لي هذه الأغنية :

ذهب عدي إلى الفناء

اليوم عيسى قال الفناء

عذرائيل — صه ! قبّحك الله وقبّح صوتك !

إبليس — صوتي منذ اليوم يستطيع أن ينطلق حراً في أرجاء
الأرض . صوتي منذ الآن يستطيع أن ينفذ إلى تلك القلوب التي
كانت تميل عني لتتلقى أخبار السماء ؟ نعم الآن قد انقطع عن
الأرض خبر السماء . لقد عاد إلى ملك الأرض من جديد ...
وافرحته ! وافرحته !

عذرائيل — خسئت ! إن نور السماء قد نفذ إلى قلوب الناس
فهيات بعد اليوم أن يصنعوا إلى صوتك !

إبليس — إنك لا تعرف الناس مثلاً أعرفهم . إني أعرف
كيف أمر بأنامل مرّاً رقيقاً على أوتار قلوبهم ، فيذهلون ، وأغني
بصوتي هذا غناء شجياً فيطربون ... إنك لا تعرف ما هي الأغاني
التي أغنيها لهم . إني أغنيهم أغاني الأرض لا أغاني السماء ! إن
السماء تنير قلوبهم حقيقة .. ولكن لأجل قريب . لا تنس أنهم
خلقوا من طين الأرض . لا شيء يهز كيانهم غير أغاني الأرض !
عذرائيل — إنهم من الأرض ولكن أعينهم تتطلع إلى السماء
إبليس — نعم ، عند ما يشير لهم إليها النبي بأصبعه ، فإذا
ولّى ... عادت رؤوسهم تنخفض نحو الأرض . إنهم كالسنبلة
التي لا يرفعها غير الأصبع ، فإذا تركت سقطت

عذرائيل (كالمخاطب لنفسه) — حجباً ! ولماذا إذن رضى الله أن
يقبض نبيه ؟ ! إن لله حكمة ، أجل ، أجل . أنسيت أيها الخاسر أن
النبي إنما يأتي للتبليغ وعصى . إنه جاء بالدين . إنه يذهب ولكن الدين
باق . الدين هو الأصبع الداعية التي لا تنفك تقيم الموج . لا تفرح
إذن كثيراً بموت النبي . ما مات غير الجسد الزائل . أما المبادئ
والتعاليم فهي قائمة في وجه ربحك العاتية دائماً ... ما الرسول
في الحقيقة غير الرسالة ... والرسالة لا تموت

إبليس — نعم ، نعم .

عذرائيل — ما بالك وجت ! إن على وجهك الآن لنبوة
تريده قبجاً على قبجه ...

إبليس — الرسالة والدين والتعاليم ... هذا صحيح ...
ولكن ... تلك أشياء لم تخفى قط ... فقد استعلت فيما مضى
أن أزرع عنها بعض قوتها ... إن للمسيح قد بشر بلثل الأعلى
وفتح قلوب الناس لنور السماء . وذهب وقد ترك في الأرض

التميز والتفريق والنظر في فلسفة الأشياء ... غداً عند ما يوارى
محمد في التراب ... ويصبح ذكراً وطيفاً كوسى والمسيح ...
لن يفرق الناس بين محمد وموسى والمسيح، بل ربما قبل أن يواروه
في الحفرة ... أنظر ... أليس هذا عمر بن الخطاب أحد خلفائه؟
اصنع إليه ...

عزرائيل - إياك أن توسوس له بشي ...

إبليس - اصنع إليه ...

[عمر بن الخطاب يقوم في الناس صائحاً]

عمر - لا أسمع أحداً يقول : إن محمداً قد مات ؛ ولكنه
أرسل إليه كما أرسل إلى موسى ، فلبث عن قومه أربعين ليلة .
والله إني لأرجو أن تقطع أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات !
عزرائيل - محباً ! ما هذا الذي يقول ؟ !

إبليس - أرايت ؟ إنهم قد شبهوه بموسى ولما هبطوا عليه
التراب !

عزرائيل - كذبت ! إنما هي وسوسة منك !

إبليس - مه ! أنظر ! هذا أيضاً رجل من بين الناس يريد
أن يقول شيئاً ...

[ينهض أحد الناس صائحاً]

أحد الناس - إن رسول الله قد رفع كما رفع عيسى ،
وليرجعن !

عزرائيل - رباه ! ماذا أسمع !

إبليس - أرايت ؟ إنهم قد شبهوه كذلك بعيسى ولما
يدرجوه في الآثواب !

عزرائيل - لست أصدق ما أرى وما أسمع

إبليس - لقد قلت لك إني أعرف منك بالبشر

عزرائيل - اللهم نورك ! كيف خفي على هؤلاء أن دينهم
لم يكن تكريراً لما سبقه من أديان ! ... اللهم إنك منزله عن
اللفو والتكرار !

إبليس - ما أبهج هذا النهار ؟ ألا تطربك أغنيتي :

ذهب عدوى إلى الفناء

اليوم عيدي فإلى الفناء

عزرائيل - آه ، لو استطعت أن أبطل بك ...

إبليس - إقبض روحى إن قدرت ...

قديسين وخلفاء ساروا على سنته في نبذ متع الأرض والانتهاز
مترهين في الصوامع والبيع والصحارى ورؤوس الجبال يتأملون
وجه الله وحده ، ناسين أو متناسين هذه الأرض التي من عناصرها
صنعت أجسامهم ... هنا تراءيت لهم ولمن تبعهم في صور مختلفة
تذكرهم بما نسوه وتناسوه ، وخطبت أجسامهم بالنطق الذي
تقهمه ، وحدثت عناصر تركيبهم باللغة التي تعرفها ... فإذا أكثر
الناس يصنون إلى في أمور حياتهم ومعاشهم ولا يذكرون تلك
التعاليم والمبادئ السامية إلا يوم يجدون في أوقاتهم فراغاً للتذكير
في السماء . إني ذكي . إني لم أرد قط في حربي ضد المسيح أن اقتلع
المسيحية من النفوس ، ولكنني أظهرت في لباقة ما فيها من علو
شاهق لا يستطيع المخلوقون من تراب وطين أن يبلغوه ما داموا
أدمنين ... فليصفوا إذن إلى أغاني الجسد وأنشيد التراب
والطين ... وليطلب العلو من كان عنده فضل من فراغ يفقهه
يسيداً عن الأرض والحياة ... وبهذا أصبحت المسيحية الحق
اليوم ترفاً روحياً لا يقتنيه غير خاصة الخاصة ، أولئك الذين
لم أستطع أن أخطب فيهم منطلق الأجساد والعناصر ...

عزرائيل - لقد أدرك الله غرضك الأثيم فأرسل محمداً بدين
لا ينكر منطلق الأجساد والعناصر ... دين لا يعرف الرهينة
ولا إنكار قوانين الأرض ... دين لا يكره أن يصني أتباعه إلى
أغاني السماء والأرض معاً ... وأن يفكروا في الآخرة والدنيا
معاً ... ما وسائل جربك إذن ضد محمد والإسلام ؟

إبليس - حقاً ... تلك هي المشكلة ! لهذا كان ذلك النبي
الذي عدوى !

عزرائيل - إنه خاتم الأنبياء لأنه ضيق عليك الخلق ،
وسد كل ثرة يمكن أن تنفذ منها سبومك ... فإذا أنت
صانع ؟ ...

إبليس - دعني أفكر ...

عزرائيل - فكر طول الأبد ... فلن تظفر ...

إبليس - بل لقد فكرت وظفرت ... الأمر بسيط :
يجب عليّ أن أطمس خصائص هذا الدين ... إني خبرت الناس
لطول لصوتي بهم وعشرتي لهم ... إن الناس يعملون دائماً
إلى التشبه والتشبيه ... هذه التروود الناطقة ... يصعب عليها

فإن محمداً قد مات ... ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت !
عزرائيل - واقرحته ... أسمعته ؟

إبليس - ؟ ؟ ؟

عزرائيل - أنظر أيضاً ... أنظر ... هذا العباس يريد
أن يقول شيئاً ...

[العباس يقوم في الناس صائحاً]

العباس - أيها الناس ... والله الذي لا إله إلا هو ، لقد
ذاق رسول الله الموت ، وإنه ليأسن كما يأسن البشر ... فادفنوا
صاحبكم ... إنه ما مات حتى ترك السبيل نهجاً واضحاً ... أحلّ
الحلال وحرّم الحرام ... ونكح وطلق وحارب وسالم ... وما كان
راعى غم يبيع بها رؤوس الجبال بأنصب ولا أدأب من
رسول الله فيكم ... !

[عزرائيل يلحق إلى إبليس صائحاً صيحة انتصار]

عزرائيل - ماذا تقول الآن في هذا ؟ أغرب الآن عن
هذا المكان ... لقد طهر معنى الإسلام ، وتألّق روح هذا
الدين ... !
توفيق الحكيم

عزرائيل - ليس لك روح يُقبض

إبليس - بل لي روح لا تستطيع قبضه يداك الصغيرتان !

عزرائيل - يداي حقاً لا تستطيعان ؛ ولكن يد رضيع

تستطيع ... إن روحك ليزهق في اليوم ألف المرات ... إن
روحك لينطق في قلب كل مؤمن ومؤمنة وعسن وعسنة
وخير وخيرة ... إن روحك مارء من دخان يستطيع طفل
بكلمة طيبة أن يحبسه في قف من نحاس !

إبليس - ولكني لا أموت ولا أذهب إلى الفناء ... لأنني

سلطان الأرض وروح الأرض ... ولن أترك الأرض ما بقيت
دودة تسي في الأرض !

عزرائيل - إبن ما شئت في الأرض ، ولكنك لن تقوى
على دحر أعدائك ...

إبليس - عجبا لك ! أولم تركب أنى في لحظة استطعت

أن أغير معنى الدين الذى قضى محمد حياته كلها في تجليته وإظهاره
وتوضيحه ... ؟ ألم يذكّر محمد قومه في كل وقت أنه بشر يوحى

إليه ... وأنه يحيا ويموت كبقية الناس ... وأن دينه هو دين

الحياة ... الذى يحمل للناس كل وسائل العيش الصالح على هذه

الأرض ... وما دام دينه دين الحياة والقطرة والمنطق البشرى ...

فلا ينبغي أن يؤلمه الناس كما ألهموا المسيح ، ولا أن يتكروا

إمكان موته كما فعلوا مع المسيح ... أليس هذا معنى دينه ؟

فكيف إذن بدّل الناس الآن المعنى واقبلوا يسرون نحو فكرة

التأليه ؟ ...

عزرائيل - إنهم لم يغيروا شيئاً ... ولئن وقع في نفسك

شيء من كلام عمر بن الخطاب ، فهو ولا ريب قد قال ما قال

خوفاً من الردة !

إبليس - ولماذا يخشى ارتداد الناس عن الدين بموت محمد ...

إنهم إذن كانوا يعبدون محمداً !

عزرائيل - اللهم ألحق نورك في صدور الناس !

إبليس - هيهات ! إن ما تسميه « وسوستى » قد استقر

الساعة في صدور الناس ...

عزرائيل - خست أيها الخاسر ... أنظر ... أنظر ...

إبليس - ماذا ؟ من هذا ؟

عزرائيل - هذا أبو بكر يقوم في الناس ... اصغ إليه ...

[أبو بكر ينهض في الناس صائحاً]

أبو بكر - أيها الناس ... أما بعد ، فمن كان منكم يعبد محمداً

امتحانات الثقافة العامة

للسنة الرابعة الثانوية في العلوم والرياضة

تأليف أنيس ميخائيل ، وبشرى دميان

المدرسين بالمدارس الأميرية

قد عني به المؤلفان عناية خاصة حتى جاء خير مجموعة

تعين الطالب على استيعاب منهاجى العلوم والرياضة

المرشد في الامتحانات العامة

للسنة الرابعة للمدارس الابتدائية

تأليف ستة مفتشين ، وستة مدرسين

يطلب من

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

ومن فرعها بالإسكندرية ووكلائها بأنظر المصري

س . ت . ٢٩٥٤٧